اما الارمن فقد ذكر بعض مؤرخيهم عنهم انهم كانوا يذهبون الى الرها منذ السقفية رابولا فيدرسون العلوم فيها. وعلى ما تحققت ان عددهم لم يأخذ بالازدياد الا بعد القرن الثالث عشر. ولهم كنيسة كبيرة ومدرسة ويقوم بامرهم اسقف من طائفتهم. وللارمن الكاثوليك ايضاً كنيسة وعددهم نحو ٣٠٠

اما الكلدان فلم يكن لهم كاهن في الرها قبل سنة ١٨٩٩ فاول راعٍ بعثهُ هناك الطيب الذكر مار عبد يشوع خياط هو حضرة وطنيّنا القس يوسف قشا البغدادي فرسمه خورياً عليها غبطة البطريرك مار يوسف عمانوئيل في اثناء رحلته الاخيرة ولا يزال لطائفته هناك وقد شيَّد كنيسة وانشأ مدرسة ابتدائيَّة ومقبرة — ومِمَّن جهدوا في خدمة الكاثوليك في الرها فاستحقُّوا شكرهم الآباء الكبوشيُّون فانهم منذ نيف وثمانين سنة قد بذلوا الوسع في فلاحة كرم الرب وتهذيب النصارى وقد انشأوا لهم كنيسة جميلة يُصان فيها قبر السيد مبارك يلانشه اليسوعي القاصد الرسولي على بلاد ما بين النهرين توفي بين سويرك وديار بكر ودُفن في الرها سنة ١٨٥٩. ويدير حضرة الآباء الكبوشيين مدارس ابتدائية. وافية بحاجات الاهلين وتساعدهم في عملهم راهبات افرنسيات من الرهبنة الفرنسيسيَّة فيهذِّبنَ الفتيات الرهاويَّات بعناية ونشاط والاهلون مجمعون على فضلهنَّ وحُسن تربيتهنَّ للاناث. وفي الختام لا اغفل ان اذكر الاهمية التي ستكون لهذه المدينة اذا انتهى اليها خط بغداد الحديدي فسيصيبها قسم عظيم من الترقي الادبي والمادّي. بظل الحضرة العلية السلطانية ان شاء الله

الفلاحة والاحراج اللبنانيَّة

نظر للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقيَّة في المكتب الشرقي (تتمَّة)

٢ مزروعات شتَّى

نكرِّر هنا ما سبق لنا قولهُ انَّ الغاية من بحثنا الحاضر ليست تأليفاً في الفلاحة او في النباتات التي تزين لبنان والمواليد النباتيَّة متوفرة فيهِ لما خُصَّ بهِ هذا الجبل من الدوائر المنطقية والطبقات المتباينة واختلاف التركيب الجيولوجي والمواقع من قمم واودية

وغير ذلك (١ . والقصد من هذه النبذة ان ندوّن بعض الملحوظات المفيدة نسندها الى تعاليم التاريخ والى نتائج علم الجغرافية

اننا لا ننكر ما اصاب لبنان من الخسائر بتجرُّده عن غاباته القديمة الّا انهُ لا يجوز القول بان الجبل فقد خصبهُ وثروتهُ الارضية بدعوى انَّ الزراعة اليوم لا تأتي بالارباح المأمولة . والحقُّ يُقال انَّ بعض العيون قد نضبت وانَّ السيول وغيرها من دواعي الخراب سحت بقسم كبير من التربة الزراعية وابرزت صخورًا جرداء لا يمكن فلاحتها . لكنَّ الجبل في ما سوى هذه الامكنة لا يزال طيّب الثرى صالحًا للزراعة . ألا ترى مثلًا ما ينالهُ لبنان من حاصلات الكرم والتوت والتبغ التي تعود على اهلهِ بالمكاسب الطائلة وقد كانت مدَّةً من مرافق الجبل الخاصَّة بهِ . وان كانت هذه موارد الثروة قد خفَّت فلا تثريب على الارض اللبنانية وانَّما تغيَّرت فقط احوال سوقها التجاريَّة ولعلَّ ارباب الزراعة في لبنان لم يصرفوا نظرهم الى تحسين طرق زراعتها على الاساليب المستحدثة . مثال ذلك زراعة الكرم فانَّ لبنان يوافقها ايَّ موافقة وترى اليوم اصحاب الشركات الالمانية في جهات حيفا قد سبقت اللبنانيين في استثمارها

ولا غرو فانَّ عصرنا هذا عصر التقدُّم وقد اصاب الفلاحة من ذلك نصيب كبير فلا بُدَّ اذن من استعمال الاساليب التي اختبر العلماء منافعها لئلا يذهب شغلنا سدًى بزاحمة الغير . فما قولك مثلًا في جند اليابان لو تركوا ميدان الوغى وفي ايديهم القوس والنشَّاب لمحاربة الروس المتسلحين بالبنادق وهم يطلقون عليهم المدافع . فكذلك الفلاحة فانَّ لها اليوم ادوات تسهّل طرائقها وتوفّر غلاتها اضعافًا كثيرة ومع هذا ترى الاهلين لا يسعون في اتخاذها ويجرون على آثار اجدادهم في اساليبهم الخلَّة التي شاعت بينهم قبل الفين او ثلاثة الاف سنة . مثال ذلك عصر الزيت فانَّ اللبنانيين يستخرجونها في معاصرهم كما فعل الفينيقيُّون . أليس هذا شططًا وكيف يستطيع الاهلون بعد ذلك ان يلوموا الزراعة ويشكوا قلَّة أرباحها

هذا ويؤخذ من دروسنا السابقة انَّ لبنان منذ الطور التاريخيّ لم يختلف في هوائهِ

---

١) فليراجع كتاب المسيو جوره في النباتات القديمة . ولهُ فصل في نبات بلاد الشام عمومًا ونبات لبنان خصوصًا (ص ٢٢٤-٢٢٦)

اختلافاً يُذكر وانَّ امطاره لم تكن اذ ذاك باوفر منها في عهدنا مهما زعم الزاعم ليثبت خلاف ذلك

وغاية ما يمكن التسليم به انَّ الامطار مع اتساع الاحراج قديماً كانت مقسمة على كل انحاء لبنان تقسيماً نظامياً يعمّ فصول السنة فيدوم زمانها اكثر دون ان تتوفَّر بذلك كمّيّة مياهها . وهذا ايضاً ضرب من الحدس لا يمكن ان نحكم بصحته قطعياً

- وعليه يسوغ القول بان النبات اللبناني هو اليوم كما كان سابقاً الّا اجناساً قليلة . فمن ذلك البُردي (papyrus) الذي ينبت بوفرة حتى اليوم على مقربة من بحيرة الحولة . وعلى رأينا انهُ كان ينبت في الاجبال الغابرة في اودية الجبل الحارَّة الكثيرة المياه وعلى ضفاف الانهار ومصابّها وذلك لمَّا كانت غابات لبنان باسقة تسرح فيها سباع الحيوان كالأُسود والفيلة وتمرح في انهارها التماسيح كما سيأتي (١

ومن النباتات المنسوبة الى لبنان شجرة الأُبان او الكندر وهذا الرأي تراهُ مكرَّرًا في اسفار الكتبة من اهل القرون الوسطى لكنهُ بلا سند وانَّما هو مبنيّ على وهم لغوي فزعموا انَّ لبنان معناهُ الأُبان لتوافق اسمها في اليونانية (Λίβανος) كلَّا لم ينبت لبنان قطّ شجرة اللبان التي هي من خواصّ اليمن وضواحيه . على ان هذا الجبل غني بغروس أُخرى واشجار نُقلت اليه فصائلها بعد تاريخ الميلاد على ما نظنّ . منها المشمش المعروف بالبرقوق (٢ والبرتقال وقصب السكّر . ومما جاءنا من امركة التبغ والصبّير . وقد دخل ايضاً لبنان نباتات حديثة العهد مختلفة الاجناس الّا انَّ كثيرًا منها بعد برهة من الدهر تضعف وتفقد خواصّها الاصلية لاختلاف التربة عليها او بالحري لجهل الاهلين بتربيتها . وما يصحّ قولهُ اجمالًا انَّ لبنان يصلح لنموّ اكثر النباتات والاشجار بحيث يُضحي كحدائق غنّاء وبساتين فيحاء جامعة لشتات نبات المعمور . والسبب في ذلك اختلافات طبقات الجبل وتباين مواقعه . وهذه لعمري منحةٌ فريدة تكرَّم بها الخالق على لبنان فلو انتفع بها الاهلون لأغنتهم عن شكواهم من عقم الجبل وضؤولة غلّاته

*

وقد ذكرنا آنفاً الصبّير او التين الشوكي . وغاية ما ينتفع به الناس انهم يتّخذونهُ

١) راجع الكتاب السابق ذكره (ص ٣٩٠)

٢) ويدلّ على ذلك اشتقاقهُ من اللاتينية

كسياج لبيوتهم او يأكلون ثمرهُ التفه . ولو دروا لامكنهم ان يستعملوهُ لفوائد أخرى اعظم واجلّ . وما قولهُ عن هذه الشجرة يصحّ في كثير غيرهـا . فمن ذلك انهُ يؤخذ على الفلاحة اللبنانيَّة قلَّة اهتمام اصحابها بتربية المواشي

ومن المعلوم انَّ الجبال انسب الى ذلك من سواها لا سيَّما انهُ يلحق برعية المواشي اعمال اخرى يرتزقون بها كبيع اللحم واصطناع الجبن والحليب والزبدة واللبن . وما السبب في قلة تهامل اهل لبنان لتربية المواشي الَّا قلَّة المراعي والاعشاب فانَّ بعض الاماكن قاحلة جرداء لا تجد فيها الطرش لماظًا طول السنة وفي غيرها تُحل التربة في فصل القيظ ويبس المراعي . فلايّ سبب لا يُزرع الصنَّير الذي ينبت في اي تربة كانت وهو يثبت على اشتداد الحرّ

ولكي يمكن الانتفـاع بهذا النبات لا بُدَّ من نزع شوكهِ عنهُ . والاولى ان يغرس ضربٌ آخر منهُ لا شوك لهُ . واعلم انَّ ثمره ولاسيما اوراقهُ (الواحهُ) الضخمة المكتنزة من احسن ما يُعلف بهِ الحيوان . وبعض الزارعين يرونهُ شبيهًا بالجزر بل افضل منهُ لقوت المواشي . والجزر كما لا يخفى يُتَّخذ في اوربَّة كعلوفة الأنعام . والصنَّير اذا غُرس وطلع يقضَّب في سنتهِ الثالثة او في الرابعة وهو انسب . فاذا اتى على غرسهِ ستّ سنوات اتى بثمره وبقي نامياً الى السنة الاربعين فحينئذٍ تُشذَّب ساقهُ فيعود وينمو جديدًا . ومجموع ما يُستغل منهُ كل سنتين بين ٣٠٠٠٠ الى ٣٥٠٠٠ كيلوغرام من العلف في كل هكتار

وليس الرأي هنا ان تزرع الاراضي الطيّبة بالتين الشوكيّ بل الاراضي البور فقط التي لا تصلح لغير ذلك من المزدرعات وان يُغرس منهُ ثلاثة او اربعة صفوف حول البساتين والاملاك الواسعة بدلًا من أكوام الحجارة التي تقوم في وجه السابلة واذا احتاج الناس الى علف للماشية في بعض السنين التجأوا الى هذه المؤونة القريبة المنال (١

ويوجد غير ذلك من الاشجار التي تؤدي لاصحابها خدماً مشكورة منها شجرة الخرّوب الذي ينبت من نفسهِ في لبنان (٢ وكان هذا الشجر كثيرًا في لبنان حتى انَّ

١) راجع كتاب الاديب وديع مدوَّر في فلاحة سوريَّة (ص ٢٦٤)
٢) كتاب جوزه (ص ٢٥١)

اقليم الخرُّوب دُعي بهِ (١ اما اليوم فلا يرى منهُ في لبنان الّا اشجار متفرّقة قليلة البسوق مع انهُ شجر كثير المنافع في تلك الجهات . وما يقال عن اقليم الخرُّوب يصحّ في بقيّة اقاليم لبنان فانّ مديريّة البترون كما يشهد على ذلك المعمّرون من الشيوخ كانت غنيّة بهذا الشجر قبل نصف القرن واكثرهُ اليوم قد قُطع وتلف فلم يسَع الاهلين انْ يستبدلوا تلك الاراضي البائرة باغراس غيرهُ . وهذا المثل يبيّن للقرّاء انّ الفلاحة اللبنانيّة اذا ما قصّرت في بعض الاحيان عن الترقّي والتحسين ربّما سهت ايضاً عن امثال الاقدمين وعدلت عن آثارهم المحمودة . وكان اجدادنا يعرفون فضل الخرنوب ويقدّرونهُ قدره كما يؤخذ من هذا النصّ الذي سطّره الشريف الادريسيّ في كتابهِ عن الناعمة التي هي اليوم قرية حقيرة قال (٢ :

« والناعمة مدينة حسنة واكثر نبات ارضها الخرنوب الذي لا يُعرف في معمور الارض مثلهُ قدرًا ولا طيباً ومنها يُجهَّز بهِ الى الشام والى ديار مصر واليها يُنسب الخرنوب الشامي امّا فان كان في الشام كثيرًا وطيباً وهو بالناعمة اكثر واطيب »

فهذا الكلام شاهد لامع على ان الخرنوب كان متوفّرًا في الاقليم الذي دُعي باسمهِ وانّ زراعتهُ كانت معدودة كاحد مرافق لبنان الجنوبي فيا رعاك الله ماذا يمنع من ان يعود الاهلون الى توفير اغراسهِ لا سيّما انهُ يأتي عفوًا في كل الامكنة القاحلة ولا يحتاج الى عناية خاصّة كما انّ قلّة الامطار او كثرتها لا تؤثر فيهِ واللبنانيون يغرس هذا الشجر لا يصيدون فقط لجبلهم بعض نضارتهِ بل يتوقون ايضاً بمحاصيلهِ كما كان الامر في عهد الادريسي

وممّا يزيد الخرنوب نفعاً انّ ثمره سكّري وقد اثبت الذين يعتنون بنظارة المواشي انّ العلف انفع للانعام اذا دخل فيهِ السكّر . وقد عرف قدماء العبرانيين منفعتهُ فاطعموه الخنازير (راجع الجيل القديس لوقا ١٥ : ٦ وكتاب التلمود) وغيرها من الماشية . وبهِ ايضاً علف اليونان والرومان مواشيهم . واليوم يدخل فرنسة في كل سنة ١٩,٠٠٠ طنّ من الخرنوب لحاجاتها وهذه الكميّة تتموّنهُ فرنسة من بلاد شتى ولا تفيدها الجزائر

---

١) وهو اسم قديم ورد ذكره في كتاب شمس الدين الدمشقي (ص ٢٠٠) وفي تاريخ بيروت لصالح بن يحيى (ص ٨٨)

٢) راجع وصف بلاد الشام للادريسي ص ١٦ (ed. Gildemeister)

منهُ سوى الف الى الفي طنّ . ومحصول الخرنوب يختلف على حسب عمر الشجرة وحسنها ومداراتها فيُجنى من الشجرة سنويًا بين ٢٥٠ كيلوغراماً الى ١٠٠٠ ك من الثمر يساوي ثمنها من ١٠ فرنكات الى ٤٠ ف . وفي هذه الاعداد دليل ظاهر على فوائد غرس هذه الشجرة التي لا تطلب عناءً كبيرًا . وان لم يقصد الاهلون منها الربح ببيع ثمرها الّا انهم يجدون فيها منافع غيرها كرعية المواشي . وثمرها كما سبق من افضل عُلف الدواب يقوم مقام غيره من النَّجُوع الذي يندر في بعض المواطن . وقد لحظ الاجانب فضلهُ فصاروا يقبلون عليهِ اقبالًا يزيد مع الاعوام وهم يستعملونهُ في الصباغة وفي عمل السُّكَّر ويعلفون بهِ انعامهم . والبعض منهم يحمّصون حبوبهُ فيجعلونها بدلًا من القهوة (١ . وكذلك خشبهُ صلب مسمط يصبر على الزمان دهرًا طويلًا فيُرغب فيهِ لذلك . وغاية ما يؤخذ على الخرنوب انهُ كالزيتون لا يأتي بثمره قبل سنتهِ العاشرة . لكن هذه الصعوبة ليس من شأنها ان تمنع من غرسهِ . ومن نظر الى الربح العاجل فقد المكاسب الطائلة الآجلة (٢

ويوجد غير ذلك من النباتات التي تصلح للاراضي اليابسة نذكر منها شجر التين واللوز . ومن المعلوم ان ١٠٠ كيلو من التين اليابس ربّما بيعت بمائة فرنك اللهمّ اذا كان التين من الجنس الحسن وجُعل في عُلَب مكبوساً كما يصنع اهل ازمير وهو من اكبر موارد الرزق لديهم (راجع المشرق ٧ : ١٠٦٠) فلو صرفنا النظر الى اثمارنا لتحسين اجناسها وتهيئتها لزادت الرغبة فيها وأجدت باعتها نفعاً عظيماً

اما اللوز فهو من الاشجار الوطنيَّة (٣ التي لا يُنكر فضلها . وزراعتها اسهل من سواها في لبنان لانَّ شجر اللوز كالزيتون واكثر منهُ ينمو في الاراضي القاحلة والتربة الكلسيَّة ومعظم لبنان تركيبهُ من هذا الصنف . ثمَّ انَّ هذا الشجر لا يقتضي عنايةً خصوصيَّة وثمره يبلغ في الشجرة من ١٥ كيلوغراماً الى ١٠٠ ك ويُباع باسعار حسنة فانَّ مئة كيلو منهُ يُدفع فيها من ٤٠ الى ١٢٠ فرنكاً على حسب اختلاف الاجناس فيكون معدَّل محصول الشجرة بين ستَّة فرنكات وستين فرنكاً . وهذا ما ساق الشركات

١) راجع معجم التوراة للاب فيكورو على لفظة « خرنوب » (ج ٢ ص ٢٠٨)

٢) ومن اراد غير ذلك في هذا الصدد فعليهِ بكتاب الاديب وديع مدوَّر (ص ٢١٢, ٢٦٥, ٤٢٢)

٣) طالع كتاب جوزه (ص ٢٩٥)

الاسرائيليَّة في سواحل يافا الى ان تُكثر من انصاب اللوز فيقوم منهُ غابات في بعض حدائقها . ومن خواصّ ثمر اللوز انَّ تهيئتهُ لا تستدعي شغلًا لنقلهِ وهو يبقى زمنًا طويلًا

وليس الامر كذلك في زراعة اشجار غيرها التي تسارع بعض الاهلين الى غرسها كالليمون مثلًا (١ فكلّ يعرف فضل ليمون صيداء على البرتقال اليافوي وكثرة مائيَّتهِ وطيب طعمهِ الَّا انَّ برتقال يافا اروج سوقًا عند الانكليز . والسبب انَّ ثمر يافا اغلظ قشرةً فيبلغ انكلترَّة وهو على حسن حالتهِ بخلاف الليمون الصيداوي الذي يفسد في الطريق فيذهب رونقهُ . ولعلَّ لهذا الداء دواء وهو ان يخصّص الصيداويُّون قسمًا من جناتهم الغنَّاء للشكل اليافوي فيُصدرون هذا الصنف للبلاد الاجنبيَّة امَّا البلاد المجاورة او المتَّصلة بخطوط نظاميَّة كمصر وسواحل الشام والاستانة العليَّة وجنوبيّ روسيَّة فيزوّدونها باشكالهم الوطنيَّة الطيّبة لاسيَّما ان تربة صيداء تصلح لكل ضروب البرتقال ولاجناسهِ المختلفة . والمهمّ أن لا يجري الاهلون على مألوف عاداتهم المخلَّة لأنَّ ملازمة الطريقة الواحدة تؤدي بهم الى خسائر جسيمة . ألا ترى مثلًا انَّ بعض المراكب قطعت سيرها الى صيداء وكانت قبل اربع سنوات في فصل الاثمار تمُّ بها لنقل محصولاتها . فلمَّا رأت كساد سوق ليمونها كفَّت عن المجيء اليها

ومن الزراعات النافعة الخطيرة الشأن شجر المشمش واشهر اصنافهِ صنفان معتبران وهما المشمش الكلابي تكون نواتهُ مرَّة والمشمش اللوزي حلو النواة . وهذا الصنف هو الافخر والالذّ والفرق بينهما من حيث الثمن بعيدٌ جدًّا الَّا انَّ رغبة الفلَّاحين في الصنف الاول اعظم . وما هو يا ترى سبب ذلك ؟ علَّة انتشار المشمش اللوزي . ولو اراد الزرَّاع لامكنهم توفير الجنس النادر بعمليَّة صغيرة سهلة جدًّا

*

وبجمل القول انَّ الفلاحة اللبنانيَّة لم تنهض حتى الان من خمولها . وكثيرًا ما نحمل الشكاوى على الطبيعة او تركيب التربة او العناية الصمدانيَّة ولو كنَّا من ذوي الانصاف لشكرنا سهونا وغفلتنا . نعم انهُ لا يمكن استغلال الحبوب والبزور من اراضٍ محجرة او ماحلة . ولكن ما لنا لا نوجّه همَّتنا الى اصناف شتَّى . ترى اكثر اهل لبنان

١) راجع في المشرق (٦ : ٢٨١) مقالة الاديب توما افندي كيَّال في برتقال صيداء

لا يهتمّون الّا بالتوت ويكتفون بغرسه فقط كانهم لا يجدون في سواه من الاشجار ما يقوم بحاجاتهم او لا يوجّههم ارباحاً مثلهُ واوفر منهُ لاسيما ان بعضها لا يقتضي كالتوت فلاحة كبيرة ولا ابتناء سافات وسطوح تراب فاذا كان لدى الاهلين اصناف مختلفة زادت ايضاً مآتيهم وآمالهم. وعلى فرض انّ صنفاً منها في بعض السنين لم يأتِ بالارباح المأمولة استعاضوا عنها بما يجدونهُ في غيره. وكذلك يقتم الفلّاحون شغلهم على كل فصول السنة ولا يدعون قطعةً من ارزاقهم دون فائدة

هذا وان قولنا السابق مبني كلّهُ على العلوم التاريخيّة والجغرافيّة والاقتصاديّة وذلك لا يمنع صرف النظر الى خبرة ارباب الزراعة ومراجعة الكتب الخاصّة التي صنّفها العلماء في هذا الشأن مكرّرين الثناء خصوصاً على التأليف الذي وضعهُ الكاتب الضليع وديع افندي مدوّر وقد استفدنا منهُ لتسطير هذا النظر في الفلاحة السوريّة. ونتمنّى ان يعرّب قريباً لفوائده

مطبوعات شرقيّة جديدة

F. Martin: Textes religieux assyriens et babyloniens. Transcription, traduction et commentaire. 1re *Série*, 8°, XXX+336 pp., *Paris, Letouzey*, 1903.

نصوص دينيّة للاشوريين والبابليين

مدار هذا الكتاب الذي بلغنا منهُ القسم الاوّل على مجموع صفائح مسماريّة وردت فيها نصوص دينيّة كان نشر نُسخها العلّامة كريغ (J. Craig: *Assyrian and babylonian religious texts*, 1895-1897) فاختارها حضرة الاب ف. مرتين مدرّس اللغات الشرقيّة في كليّة باريس الكاثوليكيّة كدستور لدراسة الآداب الاشوريّة. والاب الوما اليهِ كان سابقاً كتب مقالةً مطوّلة في هذه النصوص واهمّيّتها وهو يعرف ما تحتويهِ من الاساليب الكتابيّة المختلفة والمعاني الحسنة ولم يكتف باتخاذها كنخبة مُلَح مستظرفة بل اضاف اليها صورة لفظها بحرف اوربي وألحقها بترجمة افرنسيّة وتفاسير مفيدة وجدناها في الغالب صوابيّة (١ رغماً عمّا يحول دون شرحها من العقبات

١) في الصفحة ٢٢ قد قابل الجامع بين اللفظة البابليّة كنصي (Kinşie) والعربيّة « قميص » وفي هذه المقابلة بعض التعسّف لا سيما انّ النصّ لا يستدعي معنى الالبسة